على الواقع العربي، وتجذّرت في صلب هذا الواقع، بحيث تحوّلت الى معطيات وحقائق جديدة مطروحة، تحديات على كافة التيارات السياسية والفكرية والسياسات الرسمية في الأقطار العربية، بحيث تثير أسئلة كبيرة، لعل من أهمها: كيف تتعامل الأنظمة، والتيارات، والجماعات، والمشروعات السياسية والايديولوجية، مع هذه المتغيرات، ومع قضية فلسطين، بتفاعلها وتأثيرها وتأثّرها بهذه المتغيرات؟ هل استطاعت ان تتواءم مع هذه المتغيرات، أم لا تزال قابعة تردّد خطاباتها الايديولوجية والسياسية الأفكار عينها منذ ما يزيد على قرن من الزمن، وتجتر ذات الصيغ التقليدية البالية؟

في اطار هذه الاوضاع، تبرز أهمية معالجة موضوع قضية فلسطين، ودورها في تعزيز، وتعميق، الوعي القومي والتوجّه الوحدوي العربي، في ضوء انها لا تزال تمثّل قضية العرب المركزية. ويرتبط بهذا موضوع آخر، هو دور الوحدة العربية في حل قضية فلسطين على أساس تحرير الوطن المحتل، وان كان يحتاج الى دراسة مستفيضة أخرى تخرج عن هذا النطاق؛ ومن هنا نقتصر على الموضوع الأول.

يثير هذا الموضوع قضايا عديدة، من أهمها العلاقة بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، كعلاقة جدلية عالجها الفكر السياسي العربي على مستوى الأنظمة والحركات السياسية القومية وغيرها، وكذلك الفكر السياسي الفلسطيني؛ هناك، أيضاً، السياسات العربية تجاه القضية، وكيف أسهمت في تعزيز الوعي القومي بها، او في تغييب، وتزييف، هذا الوعي؛ كذلك، تثار قضية الكيانية الفلسطينية، ودورها في تعزيز الوعي القومي ومعالجة الاشكالية الفكرية النظرية، والعملية، بين الانتماء القومي والوطني والتوجه القطري، في إطار الصراع العربي ـ الصهيوني والمواجهة مع اسرائيل والصهيونية العالمية، الخ.

يمكن القول، بصفة عامة، ان الفكر السياسي العربي، والفلسطيني، اثارا أغلب هذه القضايا، وقدّما معالجات وتصورات عديدة حولها، وتمكّنا من تحليل بعض جوانب الجدل والتناقض، وان كانا لا يزالان واقفين تجاه اشكاليات اخرى لم تحل، على نحو ما سيأتي لاحقاً.

سوف تحاول الدراسة الاقتراب تحليلياً من القضايا الرئيسة، عربياً وفلسطينياً، التي أسهمت في تعميق الوعي القومي بقضية فلسطين، ومحوريتها في اطار معارك التحرر، والتنمية المستقلة، ومقاومة الاستعمار والصهيونية والهيمنة الامبريالية؛ وذلك في اطار فرضية أساسية هي ان معالجة جدلية موضوعية واضحة للعلاقة بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية تكفل استمرار ودعم البعد القومي للقضية الفلسطينية.

مدخل تاريخي؛ الوعي القومي والقضية الفلسطينية

ارتبط ظهور الانبعاث القومي العربي، وعياً وحركة، بالوضع الخاص للقضية الفلسطينية من زاوية سعي الاحتلال البريطاني والوجود الصهيوني والمخططات الاستعمارية الاوروبية الى اقتطاع فلسطين من الوطن العربي. ومن هنا، شكّل المدخل الفلسطيني، دائماً، أمراً هامّاً لا بد من تناوله واثارته من قبل كل من يحاول بناء حركة قومية عربية وترسيخ الوعي بالانتماء القومي، من طريق تحقيق وجودها، في الواقع، بالوحدة العربية؛ كذلك لمن يحاول ضرب وأجهاض هذه الحركة القومية، من خلال الحصار، والقضاء على أي تحرك عربي وحدوي.

ولعل هذا ما جعل انيس صايغ يضع العلاقة بين القضية العربية والقضية الفلسطينية في